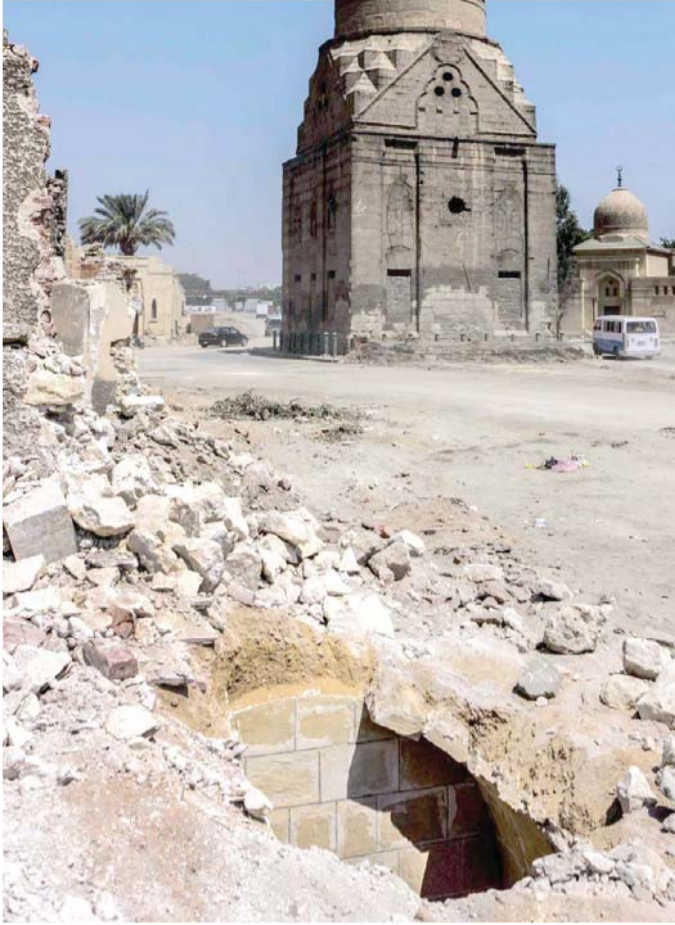


طريق الفردوس في القاهرة متنفس مروري شرّد الأحياء والأموات

البلدوزر يهدم بيوت العائلات الفقيرة ومقابر المماليك



كنوز تاريخية تدمر ببساطة

الحضري بصور اقبية مقابر أسرهم بالإضافة إلى الخزائن التاريخية. وأفاد أحد مستخدمي موقع تويتر من خلال حساب يدعى "موروكروبوليس"، بأن عائلته من ناحية والدته كانت تمتلك غرفة دفن تحت الأرض في القرافة منذ أربعمئات القرن الماضي. وصرح من دون ذكر اسمه "قالوا (السلطات) لنا إنهم بحاجة إلى جزء من حجرة دفن النساء لكنهم بدؤوا في تدمير السياج وشواهد القبور قبل نقل الرفات".

وأوضح أنه لن يحصل على تعويض من الحكومة لأن القبر دُمر جزئياً وليس كلياً. وتعلق مئة حزينة "إنهم يسيئون إلى الأحياء والأموات بلا رحمة (...). وفي النهاية لا أحد يهتم لأمرنا".



هدم المقابر يثير الاحتجاج الافتراضي

أعمال الهدم إلى محيط تاريخي من المشاهير المدفونة. وضربت مثالا قبة ضريح السلطان أبي سعيد قانصوه أحد سلاطين المماليك الذين حكموا مصر في القرن الخامس عشر. وقالت القاضي إن عمليات الهدم ستؤدي إلى "فقدان الهوية البصرية للقاهرة" وذاكرتها".

**المحور المروري السريع
جثت أعمدته الخرسانية
على القبور وأرقت هدوء
مدينة الموتى المدرجة على
لائحة اليونسكو**

يربط المحور المروري الجديد الذي يبلغ طوله 17.5 كلم، وسط العاصمة بشرقها ممراسي الأطراف. وتامل السلطات في أن يدفع هذا الطريق حركة المرور نحو العاصمة الإدارية الجديدة التي تبنيها الحكومة على بعد نحو 45 كلم شرق القاهرة.

وبعد موجة احتجاج على نشر صور هدم المقابر على منصات التواصل الاجتماعي، دافعت وزارة الآثار المصرية عن المشروع في بيان الشهر الماضي. وقالت إن "محور الفردوس بعيد عن الآثار الإسلامية المسجلة بقرافة المماليك".

وأكدت الوزارة في بيانها أنه "لم يتم هدم أي أثر وأن المقابر الموجودة بالصور المنشورة هي مبان غير مسجلة في عداد الآثار الإسلامية والقبطية وإنها مقابر حديثة وخاصة بأفراد".

من جهتها، أوضحت اليونسكو أنه "لم يتم إبلاغها ولا استشارتها" حول أعمال الهدم في محيط القرافة، مضيفة "لكن مركز التراث العالمي يتابع مع السلطات المصرية لمراجعة الأمر وتقييم أي آثار محتملة على القيمة العالمية الاستثنائية للممتلكات وأصالتها".

وترى القاضي أن ما حدث في الموقع التاريخي "يكشف عن الطابع الأعمى والتعسفي" لرؤية تخطيط عمراني عشوائية يطلق عليها "سياسة الجرافات".

من أجل نقله إلى مكان آخر أكثر أماناً، وقالت "المختر كان بشعاً (...). نقلنا الموتى على حصائر من القش". وبعد تشريدتها، تعيش أسرة مئة الآن مع جيرانها في جزء لم يتم التعرض له من قبل الحكومة، في "قرافة المماليك" نفسها التي دفن فيها العديد من سلاطين المماليك في مصر قبل نحو 700 عام وتمتد على مساحة 6.5 كلم مربع.

وتملأ "قرافة المماليك" القباب المصممة بشكل مخرّف، والمحفورة عليها الأبيات القرآنية التي لطالما كانت موضع اهتمام الرسامين والمؤرخين المستشرقين.

وتؤكد جلييلة القاضي المعمارية المخضرمة والباحثة الحضريّة التي تقم في مرسيليا، أن هذه القرافة تعتبر "عنصراً مهماً في التاريخ الحضري للعاصمة".

كان جد مئة ومن بعده والدها هما المسؤولان عن هذا الجبانة تعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي في مصر، إلى القرن السابع الميلادي.

وعُتِر القاضي التي الفت كتابا عن "القرافة"، عن أسفها بعد أن وصلت

حين يغيب التخطيط العمراني المسبق للمدن العربية تصبح الجرافات سيدها الهدم في حال إصلاحات أو توسع، وهذا ما حصل في القاهرة التي أرادت أن تشق طريقاً يكون متنفساً مرورياً للعاصمة المكتظة بالسكان، فدفعت مواقع أثرية هامة وأسر فقيرة ثمن سياسة الجرافات.

وقالت وهي تجلس على ركام المدفن، "أخذنا على حين غرة، فجاء وجدنا البلدوزر يهدد علينا الحائط ووجدنا أنفسنا نرعى بأشياءنا مثل المجانيب". وأضافت "رمونا في الشارع وشردونا وشردوا أطفالنا (...). حرام".

ومن المفارقة أن هذا المحور المروري السريع الذي بدأ إنشائه في يوليو حين جثت أعمدته الخرسانية على القبور وأرقت هدوء مدينة الموتى المدرجة على

لائحة منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) للتراث العالمي، يدعى "الفردوس".

تم دفنها بداخله. وورثت الشابّة المصرية المسؤولية بعدهما وعاشت في المدفن مع زوجها وأطفالها. لكن ما حدث جعلها تقوم بإخراج رفات الموتى

القاهرة - تشق السلطات المصرية طريقاً جديداً قد يساعد على فك الخناق المروري في العاصمة لكنه يثير سخط المصريين بسبب مروره بـ"قرافة المماليك" في شرق القاهرة وتسببه في هدم قبور عديدة في واحدة من أقدم مناطق الجبانة والأضرحة في العالم الإسلامي.

لم يمض المحور المروري الكبير بعضاً من رفات الرافدين تحت الثرى فحسب، بل شرّد أيضاً العديد من الأسر التي كانت تتخذ من أحواش المدافن والأضرحة مساكن لها في ظل ارتفاع نسبة الفقر وعدم القدرة على شراء منزل.

ومن هذه العائلات، أسرة مئة (33 عاملاً)، الأم لثلاثة أطفال والتي فوجئت بجرافة تهد جدار حوش مدفن لأحد باشوات مصر القدامى، تعيش فيه.



سياسة الجرافات سياسة هدم

بيروت تتحول إلى ركام وأهلها في العراء

وتوجهت الرومي إلى السكان قائلة "هاتوا مكانسكم وتعالوا نخلّف بيوتنا. هذا وطننا... كل الطوائف تساوّت اليوم في الموت والالم والمصائب. نحن تعرضنا لغمر. نحن محاطون بخونة".

على مقربة من الجميزة يعمل نسيب الدنا في دكان تجاري صغير في حي مار مخايل ويتمتع وهو يحاول تنظيف ما تبقى من المحل "هذا هو الجحيم بعينه".

**عدد قليل من السكان
بدأ بإصلاح ما تهدم فيما
أثر آخرون الانتظار وذلك
بعد أيام على الانفجار الذي
أصاب المدينة**

وقال "لا يكفى أننا نعيش أزمة اقتصادية واجتماعية وحالنا بالويل... أتت هذه المصيبة لتقضي علينا، هذا لا يمكن أن يسمى إهمالاً. هذه جريمة موصوفة. نحن متنا، الله يرحمنا. نحن عشنا كل فترات الحرب الأهلية وغيرها من الحروب. كنا في كل مرة نلجأ من منطقة إلى منطقة ومن حي إلى حي في بيروت. ولكن هذه المرة وصلنا إلى طريق مسدود. البحر أمامنا والدمار وراءنا".

وبمرارة شديدة يضيف الدنا "الطبقة الحاكمة والمسؤولون سفقوا دماً على مدى سنوات، تقاتلوا وتصلحوا ومن ثم تخاصموا ومنحوا أنفسهم عفواً عاماً تحت الردم" من أغنية "ست الدنيا يا بيروت".

طاحنة وارتفاع في معدلات الإصابة بفيروس كورونا. تملك لورا محلاً لبيع الملابس التراثية في الجميزة وتحكي بأسى ولوعة قائلة "أنا فقدت بيتي ومحلي وانجرحت لكنني أبكي على قطي التي قضت بين الزجاج والحديد". وأضافت "المؤسف أن الناس ماتوا في بيوتهم.. أي في المكان الذي يفترض أن نحس فيه بالأمان ليس لنا درج تصعد عليه لبيوتنا لنرى ماذا حل بها، ولم يبق عندها شبك ولا باب ولا سقف ولا شرفة".

وتشهد الجميزة المعروفة بحاناتها وأماكن السهر يوماً توافد شخصيات من المتطوعين والفنانين والإعلاميين بعد أن زارها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وتقدد سكانها وأوضاعهم عن كذب.

وفي هذا الحي ذي الطابع الأثري في معظمه رفضت روز (90 عاماً) الرحيل عن منزلها يوم الكارثة، وجلست على كرسي أبيض قديم في شرفتها الألية إلى السقوط معلنة أنها ترفض المغادرة.

أضحت روز مقصداً للزوار ورمزاً للصمود في الجميزة وأدلت بتصريحات عدة لوسائل إعلام محلية وأجنبية مريرة "أبعقل هذا!!" وتحولت تلك العبارة إلى شعار في المنطقة المتكوبة.

وفي شارع الجميزة نفسه جالت الفنانة اللبنانية ماجدة الرومي بهدف مساعدة السكان على تنظيف وكسح شوارعهم. وخلال تجوالها كانت جموع المواطنين تتحلق حولها لتردد على مسامعها مقطع "قومي من تحت الردم" من أغنية "ست الدنيا يا بيروت".

الكون بأكملها. إنها نهاية العالم فعلاً. خلص خلصنا".

"كنا شخصين هنا، السقف وقع علينا والأدوية والطاولات والأشياء الأخرى غطتنا ولكننا لم نصب والحمد لله.. وكان العناية الإلهية تدخلت لإنقاذنا".

وبدا عدد قليل من السكان في إصلاح ما تهدم فيما أثر آخرون الانتظار وذلك بعد خمسة أيام على الانفجار الذي أصاب مدينة لا تزال تعاني ذكريات حرب أهلية وتئن تحت وطأة أزمة اقتصادية

عشرة طوابق دفعني على مسافة أمتار.. غبت عن الوعي وعندما أفقت وجدت أن الجدران فتحت على بعضها بيني وبين الجيران وكأننا في منزل واحد".

وتستعيد إلسا سعادة التي تعمل في صيدلية بشوارع مار مخايل للحظة بكل تفاصيلها قائلة "في البداية سمعنا صوتاً عميقاً ثم مزجرة وكأنه تسونامي لثوان قليلة ومن ثم اهتز المبنى مع صوت قوي وكان الكون كله اهتز فوق رؤوسنا وكنا متأكدين أنه زلزال سيهد

يحاول المواطنون إنقاذ ما يمكن إنقاذه من محلاتهم ومنازلهم فيما نصبت الخيام على الأرصعة في محاولة لإيجاد ماوى للناس الذين فقدوا منازلهم بالكامل.

الشباب السوري مؤمن دركنزلي قال وهو يللم ما تبقى من أشيائه في الشارع "أتيت من سوريا قبل أربع سنوات هرباً من الحروب هناك واشتغلت في فرن قريب من هنا. آخر ما أذكره يوم الثلاثاء أنني شاهدت كتلة نار بحجم نحو

بيروت - تتطاير الستائر خارج المباني في هواء بيروت الطلق وقد تحررت من الزجاج الذي كان يحرسها قبل أن يتناثر شظايا في الشوارع والبيوت التي أصبحت بلا شرفات وتندلى منها عناقيد الخراب.

ويشعر سكان العاصمة المصنفة منكوبة بأن مدينتهم نامت بين الألغام لتستيقظ على كابوس ترك ندوبا وشقوقاً في عمرانها.

وبعد التوافد في أحياء متداعية من الجميزة إلى الباشورة ومنطقة المرقا وزقاق البلاط وبرج أبو حيدر والأشرفية والبسطة وبشارة الخوري، عارية من زجاجها والأسقف من قرميدها وتدلّت من بعضها أسياخ معدنية ملتوية وتطايرت أسطح بعض الشقق السكنية فاصبحت مكشوفة للسماة.

ومنذ الكارثة لا تزال الأشجار التي اقتلعها الانفجار والسيارات التي يغطيها الركام حجيسة الطرقات.

وتعجز الليات إزالة الركام عن دخول بعض الطرقات في الجميزة وشوارع مار مخايل والعكاوي التي يسدها بالكامل ركام الأبنية.

وبينما تتضح يوماً تلو الآخر معالم الكارثة التي اخترقت المنازل البيروتية، يجوب الشوارع الحكومة متطوعون يحملون الجواريف للمساعدة في إزالة الحطام بينما يشارك آخرون في حملات لإزالة حطام الزجاج ورفع الأسقف المنهارة وهيكل الألومنيوم والحديد المتوتية والحجارة المهمة من الشوارع. وتتناثر في الطرقات كتب وأدوية وملابس واثاث وأسقف قرميدية أثرية منهاره.

المتطوعون يسبقون الحكومة